المهرة
في الممارسة

داخل تجربة أيلول المأساوية ، ترتفع الشهادة الادبية ، لتنقل المعاناة الحقيقية لالاف المناضلين الذين صنعوا التجربة بدمائهم . وحين تأتي القصة القصيرة لتنقل هذا البعد ، فانها تتداخل مع الواقع، بحيث تصبح التجربة الفنية ايقاعا واقعيا، يمتزج بعناصر البنية الفنية ، ليشكل في النهاية شهادة على واقع دموي ، ومجموعة يحي يخلف « المهرة » هي مجموعة من اللحظات الواقعية ، التي تلتف حول الجراح ، وتقوم بحركتها الخاصة من داخل الممارسة العملية ، اي ان المحاولة القصصية تنتقل هنا من عالم الذكريات الفلسطينية، لتحاول الانغراس داخل الممارسة السياسية . هذه المحاولة التي استطاع الادب الفلسطيني قصة وشعرا الوصول اليها من خلال مزج المصير العربي بالمصير الفلسطيني ، يأتي يخلف ليحاول اضافة بعد الممارسة المباشرة في سبيل الوصول الى هذه النقطة المحددة .

المدى الواقعي: جميع قصص المجموعة تنطلق من الواقع المباشر . وهي حين تقوم بمحاولة مزج هذا الواقع بعنصري الحلم والرمز ، فانها تستخدمها في بلورة هذا المدى وليس في سبيل خلق توازياتـه . من هذا المنطلق نستطيع ان نفهم استخدام مقاطع من الحكاية الشعبية الفلسطينية ، او اللجو الى الحلم . ففي قصتي «الطائر الاخضر» و «الحلم»، نكتشف هذه التقنية التي لا هم لها سوى الوصول الى الواقع . ففي « الطائر الاخضر » ، يلجأ المؤلف الى زمنين : زمن الواقع الموضوعي ، الذي ينطلق منه الحدث القصصي وزمن الذاكرة الذي يأتي ليقيم خلفيات الزمن الاول . ويأتلف هذان الزمنان داخل لحظة واحدة . فهما يشكلان خطا واحدا يريد الوصول الى اللحظة الاساسية . لحظة اللقاء بغالية شقيقة شوكت الذي استشهد في المجزرة . هنا يتجمع كل مساء الحدث القصصي وتبدأ عملية استرجاع اللحظات . لذلك يأتي السرد من داخل الزمنين وان كان يتوكأ اكثر على زمن الذاكرة ، في تداعياته القريبة من التأمل او الحلم . الهدير .. المدينة .. الضوء .. اشارات المرور .. الماكسي .. تغمض عينيك ، تطبقهما كما لو انك ترى العالم للمرة الاخيرة .. تنز عرقا ساخنا من جلدك .. » هذا السرد الذي يتداخل مع الحوار آتيا في غالب الاحيان بصيغة المخاطب ، يشل دينامية الحوار ، عبر بحثه عن دينامية خاصة يمكننا ان نسميها دينامية الانفعال المباشر . « أحسست بالدماء تندفع في كل اتجاه ، وطافت عيناك في ارجاء القاعة الواسعة ، ولكن كم هو العالم صغير من خلال الغبش » . واخيرا في اللحظة التي يكاشف فيها الواقع نفسه تأتي مقاطع الحكاية الشعبية لتقوم بانقاذ الحركة القصصية من الوقوع في اسر التوجه الرومانسي . « انا الطائر الاخضر ، مرت ابوي ذبحتني ، ابوي أكل من لحمي ... واختي لملمتني ... ولما طلع القمر . صرت طير اخضر » . وفي قصة «الحلم» يعاود يخلف اللجوء الى هذه التقنية ولكن دون الحكاية الشعبية ، تاركا الواقع كما هو في المه ومأساويته . فحياة المناضل الهارب تصبح جحيما حين يلقى القبض على الرجل الذي يأويه في منزله. هنا يلعب السرد الدور الاساسي، لكنه حين يمتزج بالتحليل الذهني الذي ينطلق من لحظة الانفعال . وحين يمتزج السرد بزمن الذكريات او بالزمن الموضوعي المتسارع فانه يأخذ صيغة المخاطب. هنا تأتي هذه الصيغة لتقيم مسافة بين الكتابة والتلقي . لكنها لا تستطيع الوصول الى جميع ابعاد المدى الواقعي . فالمسافة التي يحاول النص خلقها بين المؤلف والبطل ، والتي توحي بقدرة اكبر على رسم حركة القصة ، لا تزال تقنيا بعيدة عن الاحاطة الواقعية ، لانها تتوقف عند الانفعال كثيرا وتهمل عالم الاشياء . او حين تصل اليه تدمجه فورا بالعالم الداخلي .

الواقع ــ البعد الاسطوري : في قصة « يوميات المواطن سين » ، نكتشف بنية قصصية ناضجة وقادرة على الحركة ، من منطق بالغ البساطة .

يحي يخلف : **المهرة** ، منشورات وزارة الاعلام ــ الجمهورية العراقية ــ ١٩٧٤ .